

القيم الدينية والأجيال: دراسة ميدانية حول أشكال تدين الأجيال ومواقفهم في منطقة وهران

**Religious values and generations: Field study on types
of generation religiosity and attitudes in Oran district .**

د. مرضي مصطفى¹

كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2. الجزائر

تاريخ الارسال: 2018/08/16 تاريخ القبول: 2019/01/23 تاريخ النشر: 2019/06/16

ملخص:

تتناول هذه الورقة إشكالية القيم الدينية والأجيال في الجزائر وهي امتداد للدراسات المسحية التي تم تدشينها في المجتمعات الأوروبية بواسطة المسح الأوربي للقيم، نعتبرها في بحثنا هذا منطلقاً لدراسة محلية حول نفس الموضوع، مع اختلاف في المقاربات المنهجية والتقنية والأفاق النظرية التي تفسر معطياتها، مدعمة بالبحوث الميدانية التي جرت في الجزائر من قبل باحثين جامعيين محليين. وقد جرت هذه الدراسة الميدانية في الفترة الممتدة بين 25 جوان إلى غاية 02 جويلية 2013، على عينة قوامها 529 فرداً (207 من الذكور، و322 من الإناث) موزعة على ثلاث بلديات: بلدية وهران، بئر الجير، وبلدية السانبا، وقد قامت هذه الدراسة على محورين أساسيين: المحور الأولى مؤشرات التدين ودرجته لمعرفة مدى تمسك عينة البحث من الجنسين والأجيال بالطقوس الدينية، والمحور الثاني تحليل مواقفهم وتصوراتهم لعدد من القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. الكلمات المفتاحية: التغير الاجتماعي، القيم، الأجيال، المواقف، التدين.

Abstract

This paper treats the problematic of religious values and generations in Algeria and it is a kind of an extension of surveys that was launched in Europe known as European value Surveys. This latter represents an outline to our local study on the same subject. But with different methodological approaches and research technics and theory that explains and interpret its data. Our study is based on field research done in Algeria by local academic researchers. The period of our field research is between June 25th and July 2nd on a sample of 529 in Oran district. It treats two fundamental axes .The first one is about religious indicators and its grades in order to know how our sample is committed with religious rites and mores due to sex and generation. The second axe treats their attitudes and perceptions to different social political and economic matters.

Key words: social change, values, generation, attitudes, religiosity.

¹ mmordi1950@yahoo.fr

مقدمة

يندرج موضوع بحثنا هذا حول الأجيال والقيم الدينية في الجزائر ضمن إشكالية عامة تتعلق بالتواصل الديني بين الأجيال، التي تشكل، حسب الأدبيات السوسولوجية والانثروبولوجية المتخصصة في دراسة الحقل الديني، مفتاحاً لفهم تطور منظومة القيم والمواقف الدينية في المجتمع الجزائري ضمن إطار التغير الاجتماعي الشامل الذي طال كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ضمن أفق التحديث والحداثة التي تقتضيهما عملية التطور التاريخي في جوانبها المختلفة، كما تستلزمها التأثيرات الخارجية منظوراً إليها من مفهوم العولمة وأدواتها وآلياتها الساعية إلى صوغ عالم متجانس وموحد في تنظيماته الإدارية والسياسية والاقتصادية والتجارية، وكذا منظومته الثقافية القيمية. وضمن هذا الإطار فإن إشكالية التغيرات القيمية، خصوصاً الدينية منها لدى الأجيال في عالم اليوم، تعتبر ذات أهمية علمية بالغة، بسبب ما للقيم بمختلفة أنواعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية من أهمية في تشكيل الآراء والمواقف لفئات المجتمع وخصوصاً فئة جيل الشباب باعتبارهم قوة حيوية ومحركة للمجتمع وفاعلاً اجتماعياً ديناميكياً في عملية التغير والتحديث الرامية إلى إنشاء مجتمع حديث وإنسان حديث متكيف مع عصره، وفي ذات الوقت متمسك بثوابته الثقافية ومنظومة قيمه الدينية المستنيرة.

ونظراً لأهمية القيم في عملية التغير الاجتماعي في تشكيل وجدان الأجيال ومواقفها، ظهرت العديد من الدراسات السوسولوجية والانثروبولوجية استهدفت معرفة اتجاهات القيم الدينية لدى الشباب في العالمين الأوربي¹ والعربي منها الجزائر بوجه خاص. وتنطلق هذه الدراسة من الإرث العلمي لأدبيات العلوم الاجتماعية في هذا المجال، محاولة الاستفادة منها والبناء عليها

¹ يتبين، "من خلال البحوث الإمبريقية مثل البحث العالمي حول القيم، معهد غولوب (Gulub) وجود تناقضات يتسم بها شباب الدول الـ 25. من خلال ذلك نقرأ في النتائج المتوصل إليها أن الشاب الفرنسي يعرف تحولاً في قيمه الدينية، حيث أصبح اللاتين سمة الأجيال الحالية، وأن كل شاب فرنسي مقابل إثنين يعتبر نفسه من هذا المذهب، وفي المقابل فإن الارتباط بالكاثوليكية عند الشاب الإسباني يصل إلى نسبة 48 في المائة، والإيطاليين بنسبة 60 في المائة والبولونيين 70 في المائة والرومانيين 76 في المائة. أما الشاب التركي، فإن الارتباط بالإسلام عنده يشكل نسبة 86 في المائة". (أنظر في هذا الصدد:

La jeunesse du monde. Une enquête planétaire 2011. Sous la direction de Dominique Reynié. Fondation pour l'innovation politique Paris: Fondapol. 2011, 1ère édition. 130 pages)

(نشر تلخيص عنه رشيد جرموني في مجلة "إضافات، العدد السادس عشر/ خريف 2011 (ص ص. 161-169).

لمعرفة عملية التغيير الذي طالت قيم ومواقف الشباب في الحقل الديني ومعرفة دلالاتها السوسيوولوجية والسياسية.

1- إشكالية البحث إن الدراسات الميدانية والمسحية حول إشكالية القيم الدينية والأجيال، قد تم تدشينها في المجتمعات الأوروبية بواسطة المسح الأوربي للقيم، والتي نعتبرها في بحثنا هذا منطلقاً لدراسة محلية حول نفس الموضوع، مع اختلاف في المقاربات المنهجية والتقنية والأفاق النظرية التي تفسر معطياتها، مدعمة بالبحوث الميدانية التي جرت في الجزائر من قبل باحثين جامعيين محليين.

وقد تمكنت الدراسات السابقة من استشفاف مظاهر هذه الأزمة لدى أجيال الشباب في المجتمعات الأوروبية، التي تجلت مظاهرها في العزوف المتزايد عن الاعتقادات الدينية الكاثوليكية والبروتستانتية، وهي مؤشرات تعبر عن فقدان الثقة في المؤسسات الدينية التقليدية، وهذا ما جعل قسماً من الشباب الأوربي "يعتبر نفسه بدون دين"، في حين أن قسماً آخر من هؤلاء الشباب راح يعتنق معتقدات جديدة مثل النزعة الغنوصية والباطنية وتناسخ الأرواح¹.

وقد تم تفسير هذا التراجع أو العزوف لدى الشباب الأوربي عن هذه المعتقدات الدينية الكوثالوكية والتروتستانية بثلاث عوامل نختصرها في النقاط التالية:

1- إشكالية الحداثة والعلمنة التي عرفتها المجتمعات الأوروبية خلال القرون الماضية، التي تستلزم ضمن ما تستلزم، ظهور الفردانية التي تقتضي، وجود حياة فردية حرة من كل أشكال الإكراهات والقيود مهما كان نوعها أو مصدرها تتاح فيها للفرد أن يعيش حياته حسب مفهومه وتصورات المنبثقة من تجاربه وتجارب الآخرين المعاصرين له، بعيداً عن أي رقابة مؤسسية أو وصاية عائلية، أو دينية. وتقوم العلاقة بين الحداثة وانخفاض الشعور الديني لدى الأفراد على مسلمة مفادها أنه كلما كانت عملية التحديث والحداثة شاملة وعميقة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية كلما أدى ذلك إلى انخفاض الشعور الديني المرتبط بالمؤسسات التقليدية للمجتمع، بما فيها المؤسسات الاجتماعية والدينية، ومن هنا تحل محل الرابطة الاجتماعية التي كانت قائمة على ما هو تقليدي وتراثي رابطة اجتماعية أخرى حديثة تنتمي إلى مؤسسات عصرية تقوم على التفسير العلمي للصيرورات التاريخية وعلى المعارف الحديثة المستندة إلى العقل والعقلانية في كافة شؤون الحياة الاجتماعية.

¹ أنظر عزي، محمد فريد، الأجيال والقيم: مقارنة للتغير الاجتماعي والسياسي في الجزائر، أطروحة دكتوراه الدولة، إشراف أ.د أحمد العلاوي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران، 2008

2- العولمة: فضلاً عن ذلك فقد استهدفت العولمة، في عالم اليوم، محو الحدود الجغرافية التي كانت تصنع الهوية القومية، وإحلال محلها هوية قائمة على أسس ثقافية دينية حضارية. فالجماعات الاجتماعية تنزع إلى تعريف هويتها بناء على اعتبارات دينية، ثقافية وعرقية، إنسانية. فالفرد، في عصر العولمة، أمامه خيارات متعددة في سلم القيم والانتماءات من وطن، ودين، وقومية، كونية.

ج- وأخير هناك خاصية أخرى تتمثل في كثافة الاتصالات بفعل التطور الهائل لوسائل الاتصال والإعلام الحديثة (راديو، تلفزيون، هواتف خلوية، شبكة الانترنت) وما نجده فيها من فضاءات التواصل الاجتماعي بين ملايين الناس من مختلف الجنسيات والأعراق والديانات. إن ما يبرر دراسة القيم عموماً والقيم الدينية خاصة هو اعتبارها من المحددات الأساسية لمواقف ومعتقدات وسلوكيات الأفراد والجماعات. فالدين في حياة الأفراد، خصوصاً في المجتمعات العربية الإسلامية له حضور قوي بخلاف ما هو موجود في المجتمعات الصناعية الأوروبية التي عرف فيها انحساراً خلال العقود الماضية بفعل عملية التحديث والعلمنة¹. أما الدين في المجتمعات العربية فلا يزال، على الرغم من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي عاشها خلال العقود الماضية، يلعب دوراً أساسياً في تشكيل هوية الأفراد والجماعات والدول، ويشكل عاملاً في حركة التغيير الاجتماعي والسياسي والثقافي، باعتباره مرجعية ثقافية فعالة لدى فئة عريضة من الشباب العربي، في تنافسها مع مرجعيات حديثة وإنسانية في تصور مشاريع المجتمع، وتحديد وسائل تجسيدها، والأفاق السياسية والثقافية التي ترمي إليها.

يطمح هذا البحث المساهمة في تقديم عناصر إجابة عن عدد من التساؤلات ضمن هذه الإشكالية هي: ما مكانة ووظيفة الدين والتدين لدى الأجيال في المجتمع الجزائري؟ وما هي المؤشرات الدالة على ذلك؟ وما هي آراء ومواقف الأجيال حول الطقوس الدينية وأشكال التدين الشائعة، وتصوراتهم لبعض الموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية حسب رؤيتهم الدينية، ما هي دلالاتها السوسولوجية والانثروبولوجية؟

¹ وقد تم تحليل اتجاهات ومواقف الشباب الأوروبي من منظور الحدأة والتقليد. لمزيد من الإطلاع أنظر:

(s.d) Stelling de Anna. *Les jeunes face à leur avenir. Une enquête internationale*. Ed. Fondation pour l'innovation politique. Paris, 2008. P. 28

أما الأدبيات التي تناولت موضوع الدين والقيم الدينية لدى الأجيال والشباب في المجتمع الجزائري فهي قليلة ولا زالت في طور التراكم المعرفي. ويعود سبب قلة الدراسات في هذا المجال وتأخرها إلى جملة من المعتقدات التي كانت تؤطر فكر وذهنية المثقفين والدارسين، ويوجد على رأسها الطابع المقدس لموضوع الدين، باعتباره موضوعاً يمتنع لأن يكون موضوع بحث عملي موضوعي كغيره من الموضوعات التي تخضع لمناهج البحث العلمي الأكاديمي¹. ولم تظهر بوادر البحوث والدراسات الأولى إلا في منتصف الثمانينيات، وهي الفترة التي شهدت أولى أشكال المعارضة المسلحة ذات الطابع "الإسلامي" وما تلا ذلك من أحداث دموية طيلة فترة التسعينيات حينما تم إلغاء المسار الانتخابي بعد الإقرار التعددية الحزبية في دستور 1989.

غير أن الاهتمام بالقيم والممارسات الدينية لدى الشرائح الاجتماعية في المجتمع وخصوصاً لدى الشباب وعملية انتقالها من جيل لآخر لم تكن على نفس القدر من الاهتمام. فإن جل هذه البحوث تركز على الجانب السياسي والإيديولوجي والتنظيمي للحركات الإسلامية، مقللة من شأن البعد التاريخي والسوسيولوجي والانثروبولوجي لمعضلة القيم الدينية، تمثلاً وممارسة ومواقف. ولذلك بقي حقل البحوث الأميركية والميدانية الذي يدور محوراً حول المعتقدات والممارسات الدينية مهماً، على الرغم من اكتساح الدين للحياة الاجتماعية في المجتمعات العربية وإن بدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة².

لقد استفدنا من الدراسات السابقة التي قام بها مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وعلى وجه الخصوص البحوث الميدانية المنشورة في كراسة المركز سنة 2012³، دون إغفال الدراسات المحلية الأخرى حول الشباب في علاقته بالقيم الدينية في سياق التغير الاجتماعي⁴ وتحديث المجتمع والدولة والاقتصاد والثقافية.

¹ فالباحث في المسائل الدينية وخصوصاً في القيم الإسلامية لا يمكنه، باعتباره عضواً في مجتمع إسلامي، أن يلتزم بما يسميه ماكس فيبر بـ"الحياد القيمي"، لذلك وجب عليه، وهو يدرس، ويحلل ويفسر، أن "يظهر" هويته الإسلامية عندما يتعرض للنصوص الدينية والأحاديث النبوية، وبالتالي لا يمكن أن يتبنى المقاربة السوسيولوجية والانثروبولوجية ورؤيتها التي تنظر إلى الظاهرة الدينية باعتبارها "ظاهرة اجتماعية" تدرس كما تدرس الظاهرة الدينية في المجتمعات الغربية.

² عزي، فريد، مرجع سابق، ص 171

³ الدين والبحث عن الهوية في الوسط الطلابي، تنسيق مرزوق محمد، كراسات المركز (مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2012

⁴ يمكن أن نشير هنا إلى بعض الدراسات الميدانية التي لها صلة قريبة بموضوعنا في بعض جوانبها:

2-فرضية البحث

يقوم هذا البحث على فرضية، أن الطقوس الممارسات الدينية تستجيب لحاجات انطولوجية ووجودية، وتعبّر عن عنصر هام من مكونات الهوية الفردية والجماعية لقطاعات عريضة من فئات المجتمع.

منطلقنا ضمن هذا البحث هو اعتبار الإيمان بالقيم الدينية عنصر تأسيسي في نفوس المؤمنين، ويستتبع جملة من الممارسات الشعائرية كالصلاة والصيام، وغيرها من الطقوس، وجملة من الأوامر والنواهي الفردية والاجتماعية مما يعبر تعبيراً عن الانتماء لجماعة ما، هذا على الرغم من إمكان الإيمان دون ممارسة، وإمكان الممارسة الشعائرية دونما إيمان عميق¹. ويفهم من هذا أن الأبعاد الثلاث للتدين ممثلة في المعتقدات والطقوس والممارسات لا نجدّها، عند معظم المتدينين، منسجمة، ومتوافقة مما يبرز فجوات بين المعتقدات من جهة والطقوس من جهة ثانية، وبين هذين البعدين والممارسات الاجتماعية للناس في تفاعلاتهم وعلاقاتها في يوميات حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها من جهة ثالثة. ولذلك ركزت بعض الدراسات الحديثة في علم اجتماع الدين على المعاش اليومي للمتدينين في فضائهم المتعددة الخاصة أو العامة. كيف تم إدراك معتقدتهم الديني؟ وكيف يعيش وكيف يتعامل الأفراد فيما بينهم عملياً وفعلياً؟ فالدين حينما يتمكن من وجدان وشعور الشباب المسلم في المجتمعات الغربية، يحول دونيتهم الاجتماعية إلى تفوق ذهني وديني حسب وصف خوسروخافار².

3-منهجية قياس القيم والمواقف الدينية:

-راجعي مصطفى "التدين وعلاقته بدعم الجندرية لدى فئة الأعمار 18-30 سنة ببلدية وهران" (ص ص 51-65) في مجلة إنسانيات حول: "الشباب بين الحياة اليومية والبحث عن الهوية"، مجلة إنسانيات، السنة السادسة عشر، عدد مزدوج 55-56، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (Crasc). وهران.

-بلخضر مزوار في أطروحة دكتوراه الدولة:

⁴ Belakhdar Mezouar, *Religion et lien social en Algérie*. Thèse de Doctorat d'Etat en sociologie. Sous la direction de Benmalek Rachid, faculté des sciences sociales, Université de Tlemcen, 2005.

¹ العظمة، عزيز، دنيا الدين في حاضر العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية 2002، الطبعة الأولى 1996، ص 83

² Khosrokhavar, Farhad, *L'islam des jeunes*. Editions Flammarion, Paris, 1997. P. 67.

لقد تمحورت الدراسات السابقة حول القيم والتمثلات الدينية وطقوسها وعلى مكونات الظاهرة الدينية وأبعادها، ومؤشراتها¹. غالباً ما تقسم عناصر الظاهرة الدينية، في منهجية مقاربتها، إلى خمس أبعاد: البعد التجريبي، البعد الإيديولوجي، بعد العبادة والطقوس، البعد الثقافي والبعد العملي-المعاملاتي. هذه المقاربة التقنية للظاهرة الدينية خاصة بالمجتمعات الغربية المسيحية، ويحتاج الأمر من أجل الاستفادة منها منهجياً، إلى تكييفها مع المعطيات الاجتماعية والثقافية والدينية في المجتمعات العربية ومنها الجزائر على وجه الخصوص، ولذلك عمدت بعض الدراسات إلى اعتماد عدد من الأبعاد يفترض فيها أنها تشكل مؤشرات قياس التدين، كل بعد يشمل مؤشرات، وهذا حسب متغيرات السن، والجنس. ونظراً لمحدودية زمن الدراسة، اقتصر بحثنا هنا على بعدين إثنين فقط طبقاً لمحاو أسئلة الاستمارة وهي كما يلي:

1- البعد الأول وقد أدرجناه تحت عنوان مؤشرات التدين ودرجته، وهذا بطرح عدد من الأسئلة التي شملت جملة من المؤشرات منها على وجه الخصوص الشعائر الدينية مثل الصلاة، الصوم، حضور الدروس الدينية، الكتب الدينية وما إلى ذلك.

2- والبعد الثاني يتعلق بالجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للدين من خلال تصورات ومواقف المبحوثين من كلا الجنسين وحسب الأجيال، وهذا بطرح عدد من الأسئلة التي تدور حول موضوعات: ترتيب عناصر الهوية (جزائري، مسلم، عربي، أمازيغي)، اللحية، الحجاب، والفوائد البنكية، الاقتصاد والقروض البنكية، الإسلام والديمقراطية، المرجعية والمصادر في البحث عن الحلول عند المبحوثين، والتضامن الاجتماعي (مساعدة الفقراء). وما إلى ذلك. والهدف من وراء ذلك محاولة إبراز امتثال المبحوثين ومن خلالهم الأجيال للتعالم الدينية ومدى تأثرهم بمرجعيتهم في مواقفهم من الظواهر الاجتماعية والسياسية والثقافية في مجتمعهم والعالم المحيط بهم².

أجرى البحث الميداني في الفترة الممتدة بين 25 جوان إلى غاية 02 جويلية 2013، على عينة قوامها 529 فرداً (207 من الذكور، و322 من الإناث) موزعة على ثلاث بلديات: بلدية وهران، بئر الجير، وبلدية السانيا، وتشمل كل بلدية على مقاطعات، حيث وزعت على المحققين الميدانيين ما يقارب 520 استمارة، تشتمل كل منها على 41 سؤالاً متعدد الاحتمالات.

4-تحديد المفاهيم

¹ Quivy R., Campenhoudt, L., Van, *Manuel de recherche en sciences sociales*, Bordas, Paris, 1988. P.11.

² Bourqia, Rahma. *Les jeunes et les valeurs religieuses*. Dakar, CODESRIA, 2001, p.260

وجب علينا هنا أن نتوقف قليلاً في سياق تعريف المفاهيم من أجل توضيح، في هذا البحث، ما نقصده، على نحو مختصر، بمفهومين: التدين في علاقته بالدين، ومفهوم الجيل. فمفهوم التدين يختلف عن مفهوم الدين. فالدين إيمان بتعاليم الإسلام وعقائده التي تبقى في نظر المؤمنين بها مقدسة وثابتة، أما التدين فهو الكيفية التي يعيش بها الناس معتقداتهم الدينية في حياتهم اليومية التي تتجلى في الممارسات الطقوسية من صلاة وصوم وزكاة وحج والعلاقات الاجتماعية التي تؤطرها. وتتجلى أهمية هذا المفهوم في عاملين: كونه يسمح بتجاوز المنظور التبسيطي والاختزالي لمعنى التدين في الحس المشترك، هذا المنظور الذي يقسم الناس إلى فئتين: متدينين وغير متدينين، ذلك إن الواقع السوسيولوجي يكشف بوضوح عن وجود أشكال مختلفة ومتعددة للكيفية التي يتمثل بها الأفراد معتقداتهم وممارساتهم الدينية، وثانياً يسمح مفهوم التدين بدراسة الأبعاد التطبيقية للمعتقدات الدينية والممارسات المرتبطة بها من دون الحاجة للخوض في مسلماتها الثيولوجية¹.

أما مفهوم الجيل الذي نوظفه هنا في البحث فنعني به، بوجه خاص، الأشخاص الذين ولدوا في نفس المجال التاريخي والاجتماعي² وعاشوا أحداثاً وتجارب مماثلة شكلت وعيهم ومدركاتهم، غير أن الاشتراك في السن وفي الظروف الزمنية وما فيه من أحداث، لا يعني بالضرورة أن نفس الأشخاص يحملون نفس الرؤية ونفس المواقف للأحداث التي عايشوها. كما نجد مفهوم الأجيال يتجسد في نطاق العائلة ممثلاً في الآباء والأبناء ونظرة بعضهم لبعض وللعالم المحيط بهم. ومن الناحية المنهجية، يعتبر مفهوم الجيل كأداة تحليل وتفسير للعديد من المواقف والاتجاهات والسياسات، وكمفهوم بديل للطبقة الاجتماعية في الأدبيات الماركسية، الذي كان يفسر في نطاقه حركات التطور التاريخي للتشكيلات الاجتماعية والاقتصادية، باعتبار أن محركها هو الصراع الطبقي. وعلى نفس المنوال يجري الحديث عن الأجيال وصراع الأجيال في عصر الحداثة والحضارة في عالم اليوم.

وعليه، فإن المفهوم الإجمالي للجيل كما نوظفه هنا يتمثل في فئات الأعمار: فهناك من جهة الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 18-28 سنة، وهناك الكهول والشيوخ التي تكون أعمارهم

¹ منديب عبد الغني "التدين والمظهر الخارجي في الوسط الطلابي المغربي: مقارنة سوسيولوجية". مجلة "عمران" للعلوم الاجتماعية والإنسانية (ص 99-110)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر العدد 6، المجلد الأول، خريف 2012، ص 110.

² Mannheim. Karl. *Le problème de générations*. Paris, Nathan, 1990. p.58

ما بين 50 فما فوق. وبناء على ذلك حاولنا استخراج النسب المئوية لمعرفة مواقف هذه الأجيال وتصوراتها. غير أن المعطيات الإحصائية المتعلقة بمواقفها، كما هي معبرة عنها في النسب المئوية، لا تعبر إلا عما تقوله عن نفسها وعن بعض المسائل المعروضة عليها، من دون وجود إمكانية التأكد من صحتها، فهي تعبر فقط عن مواقف هذه الأجيال في ظرف زمني قصير، وهو زمن إجراء الاستطلاع، وهو سياق اجتماعي وتاريخي في حالة تغير وتحول، بما يعني أنه ليس ثابتاً وبالتالي لا يمكن أن تكون آراؤها ألا مؤقتة وظرفية يحتاج الأمر هنا إلى فحص صيرورتها، في نطاق مقارنة طويلة، على امتداد السنوات القادمة لمعرفة عناصر الثبات والتحول.

5- عرض وتحليل معطيات البحث الميداني:

سنقوم فيما يلي بعرض النتائج النهائية لمحور القيم والمواقف الدينية لأفراد العينة حول الموضوعات المحددة في استمارة البحث الميداني، مقدمين أولاً النسبة الاجمالية (الرجال والنساء وفئات الاعمار)، ثم نقوم بعد ذلك بتوزيعها على متغيري الجنس (رجالاً ونساءً)، وأخيراً توزيعها حسب متغير السن (شباب وكهول) مقسمين إياها إلى محورين: المحور الأول مؤشرات التدين ودرجته، والمحور الثاني تمثلات ومواقف المبحوثين حول بعض القضايا الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، متبوعة بتعليق وتحليل مقتضبة، مركزين فيها على مواقف الأجيال لاستجلاء دلالاتها السوسولوجية، ونستكملها فيما بعد بمناقشة النتائج وأخيراً الخاتمة.

أولاً – مؤشرات التدين ودرجته:

إلى أي درجة تعتبر هذه العبادات معياراً لتدين الفرد؟

- الصلاة اليومية

يتبين من قراءة المعطيات الميدانية المستخلصة من استطلاع رأي أفراد العينة المتعلقة بمؤشر الصلاة اليومية الحقائق التالية:

هناك بصورة إجمالية نسبة 82.2% ممن يؤدون الصلاة يومياً، ولا توجد إلا نسبة قليلة في حدود 5.3% ممن تؤدها أحياناً.

وسنجد عن توزيعها حسب الجنس أن هناك نسبة 40.1% من الذكور من يؤدي الصلاة يومياً، ونسبة 31.1% من يؤدها في معظم الأوقات، ونسبة 35.7% أحياناً، ونسبة في حدود 31.1%، مع وجود نسبة 50% في المائة رفضت الإجابة. في حين نجد لدى الإناث نسبة أعلى من الذكور في تادية الصلاة يومياً بنسبة تقارب 60%، ونسبة تزيد عن المتوسط (59.9%) تؤدها في

معظم الأوقات، وأكثر من 64% أحياناً ونسبة كبيرة (76.9%) تؤديها بصورة نادرة، مع وجود نصف المستجوبات رفضن الإجابة عن السؤال.

وإذا فحصنا النسبة حسب السن فسنجد أن الشباب الذين تتراوح فئات أعمارهم ما بين 18-28 سنة يقومون بأداء الصلاة بنسبة 66.2% وهي نسبة أقل من نسبة فئات 50-59 سنة، أي ما يمثل 93.1%.

وهذه النتيجة تتقاطع مع نتائج الدراسات الأنثروبولوجية للأجيال المغربية التي تؤكد قاعدة مفادها أن هناك علاقة طردية بين السن وممارسة الشعائر الدينية، أي كلما تقدم الفرد في السن تزيد ممارسته للشعائر الدينية، وكلما انخفض السن تقل هذه الممارسة¹.

نلاحظ من جهة ثانية إن النتائج المتوصل إليها في استطلاعنا هذا تتقارب، بهذا القدر أو ذلك، مع نتائج دراسات ميدانية استطلاعية حول شباب الجزائر، والمغرب وبعض البلدان العربية التي نشرها البارومتر العربي. وهكذا نجد في دراسة هذه أنجزت بين عامي 2007 و2009، وهي عبارة عن مقارنة ميدانية استهدفت فئة معنية من السكان وهم الشباب الجامعي، أن نسبة الذين يؤدون الصلاة بصورة يومية تصل إلى 94%². أما الدراسة الذي نشرت في البارومتر حول الجزائر سنة 2011، فتشير أن نسبة الذين يؤدون الصلاة بصورة منتظمة (دائمة) تبلغ 81.1% من المتدينين³.

-الصوم

فيما يتعلق بشعيرة الصوم تبين المعطيات الميدانية الإحصائية ما يلي:

بصورة إجمالية نجد أن أغلبية تقدر بـ 95.5% يصومون بصورة دائمة، و2.8% في بعض الأحيان. إما إذا نظرنا إليها حسب الجنس، فإننا نجد أن هناك نسبة كبيرة من الإناث أكثر صوماً من الذكور بصورة دائمة في حدود 60%، بينما نجدها عند الذكور عند نسبة 38.9%، وإذا كانت نسبة الذكور ممن يصومون في معظم الأحيان في حدود 46.7%، فعند الإناث تزيد عن

¹ أنظر في هذا الصدد:

-Bourqia. R. et autres, *Les jeunes et valeurs religieuses*. Eddif-Codesria, Casablanca. Maroc. 2000.

-(Elayadi Mohammed, Rachid Hassan, Tozi Mohamed, *L'islam au quotidien*. Ed. Prologues, Casablanca, 2007).

² التدين والبحث عن الهوية، كراسات المركز، تنسيق مرزوق، محمد، منشورات المركز الوطني في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، 2012.

³ البارومتر العربي، من منشورات مركز الدراسات الاستراتيجية، الجامعة الأردنية، ص12

53% ، وإذا كانت نسبة الحالات النادرة للصوم عند الذكور تصل إلى 33.3% ، فهي عند الإناث بنسبة الضعف، أي 66.7%، مما يعني أن النساء أكثر "خشية من الله" من الرجال !
يتبين من النتائج، حسب فئات الأعمار، أن ليس هناك فرق جوهري بين فئات الأعمار (18-28، التي تقدر نسبتها بـ 98.7%، وفئة 50-59 التي تناهز نسبة 97.7%، مما يدل أن هناك توافقاً بين الأجيال في المواقف حول هذه الشعيرة.

ليس في هذا الأمر غرابة، فإن ذلك ينسجم مع القيم الدينية السائدة في مجتمع مسلم، يحرص كل فرد فيه أن يظهر لغيره أنه لا يختلف معه في أمر حيوي كالشعائر الدينية مثل الصلاة التي تعتبر التجليات اليومية لإثبات هوية الاعتقاد كممارسة شعائرية¹، والصوم كتجليات سنوية لتجديد الارتباط بالتعاليم الإسلامية. وشدة حرص المؤمنون على مراعاة شعيرة الصوم تؤدي بهم إلى حد الإضرار بصحتهم مثل صوم المرضى وخصوصاً المصابين بأمراض مزمنة مثل السكري ضغط الدم وما إلى ذلك، وهذا ما يمكن تسميته في "الإفراط في الطاعة!"

-حضور الدروس الدينية

وعن سؤال هل تحضر الدروس الدينية؟ كانت إجابة المبحوثين كما يلي:
بصورة إجمالية نجد نسبة 39.7% يحضرون بصورة دائمة، 20% بصورة نادرة، في حين امتنعت 21% من المستجوبين عن الإجابة.

وحسب الجنس نجد أن الذكور يحضرون دروس دينية بصورة كبيرة (39.9%)، وبصورة متوسطة (30%)، وعلى نحو ضعيف (33.3%)، في حين سجلت نسبة 44.6% ممن لا يحضرون، ونسبة عالية من الراضين الإجابة على السؤال (75%). أما الإناث، فقد كنّ حريصات على حضور الدروس الدينية بصورة كبيرة بنسبة 60%، وبصورة متوسطة بنسبة 70%، وعلى نحو ضعيف بدرجة 66.7%، مع تسجيل نسبة 55.4% من لا يحضرون الدروس الدينية.

وإذا نظرنا للنتيجة حسب فئات الأعمار، فإننا سنجد نسبة 39.2% من الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 18-28 يحضرون دروس المسجد بصورة منتظمة، ونسبة 14.9% أحياناً، ونادراً بنسبة 17.6% بينما نسبة 38% من فئات الأعمار من الكهول (50-59) تحضر بصورة دائمة للدروس المسجدية 5.6% أحياناً ونسبة 26.8% نادراً، مما يعني الفروق الجيلية في هذه المسألة ليس فرقاً كبيراً، عدا بعض الجزئيات البسيطة.

¹ نجد في إحدى صفحات الفايبيوك منشوراً يصنّف المصلين حسب رؤيتهم للصلاة إلى قسمين: قسم يصلي ليرتاح بها وقسم يصلي ليرتاح منها!

-درجة ارتباط الرجل الملتحي بالتدين

إجمالاً نجد ألا نسبة 14.4% التي ترى أن حمل اللحية علامة من علامة التدين، في حين نجد أن أغلبية أفراد العينة بنسبة 69.69% لا ترى أن هناك علاقة بين التدين واللحية. حسب الجنس: صرحت نسبة 55.3% من الذكور بوجود درجة ارتباط قوي بين اللحية والتدين، ونسبة 46.9% بوجود درجة متوسطة، ونسبة 28.6% كدرجة ضعيفة، مع تسجيل نسبة عالية (83.3%) من الراضين الإجابة عن السؤال، ومن جانب الإناث وجدنا القيم التالية: نسبة 44.7% ترى وجود ارتباط قوي، ونسبة 53.1% ارتباط متوسط، و71.4% ارتباط ضعيف، مع وجود نسبة 65.6% تقرر بعدم وجود أي علاقة ارتباط بين الرجل الملتحي ودرجة تدينه.

وبالنظر إلى حسب فئات الأعمار (18-28 سنة)، فإننا نجد نسبة 11.7% يعتقدون بوجود رباط قوي بين التدين واللحية، بينما نجد ضمن نفس الفئة نسبة 68.8% التي لا ترى وجود رباط بين التدين وحمل اللحية، أما عند فئات الأعمار (50-59)، فإننا نجد نسبة 12.5% بدرجة قوية، وأكثر من 50% لا تجد علاقة بين التدين واللحية، مما يعني أن الفروق الجيلية متقاربة من حيث تقييمها لهذه المسألة.

نسجل هنا أن حمل اللحية بالنسبة للرجال وارتداء الحجاب بالنسبة للنساء لا يشكلان عند معظم المستجوبين كعلامة لصدق الإيمان الديني، لكن كعلامة للهوية الدينية حسب مفهومهم وتفسيرهم للنصوص الدينية. الناس، ترتاب، على مستوى الممارسات والعلاقات الاجتماعية اليومية، من المظاهر الخارجية للتدين كما يمكن استشفاف ذلك من مقابلة امرأة تقيم في حي قمبيطة في وهران، حاملة شهادة ليسانس في علم الاجتماع، حيث صرحت في استجواب أجري معها قائلة: "أنا لا أثق في شخص ملتحي، لأنني أرى في حياتي اليومية أفراداً، يحملون لحي، ويجرأون على القيام بأفعال، لا يقوم بها فرد يصلي يومياً"¹.

-ترتيب عناصر الهوية

¹ - فإذا كان الحجاب لا يمثل بالضرورة وفي كل الأوقات درجة من التدين، فهو أيضاً من جهة ثانية لا يمكن اعتباره "علامة انخراط في الحركة الإسلامية الراديكالية، فهو يعبر، بالأحرى، بصورة من الصور، عن "علامة مسجلة لامتنالية اجتماعية جديدة" كما يقول غيرتز (أنظر في هذا الصدد: "الدين بوصفه شبكة دلالية: مقاربة كليفورد غيرتز". (Clifford Geertz). تقديم صالح محمد، إبراهيم، ترجمة مرضي، مصطفى، دفاتر مجلة إنسانيات، العدد 4، 2013 (صص 75-85).

عندما طلب من أفراد العينية ترتيب هويتهم بين مسلم، جزائري، عربي، أمازيغي، كانت النتيجة الإجمالية بغض النظر عن الجنس والسن على النحو التالي: مسلم أولاً (75.9%)، وجزائري ثانياً (20.3%) وعربي ثالثاً (3.6%)، وأخيراً أمازيغي بنسبة (2%).

وحسب الجنس نجد الذكور يرتبون أنفسهم على النحو التالي: عربي أولاً بنسبة 63.2%، وجزائري ثانياً بنسبة 40.6%، ومسلم بنسبة 37.6%، وصفر في المائة للأمازيغية، في حين كان ترتيب الإناث على النحو التالي: مسلمة أولاً (بنسبة 62.4%)، وجزائرية ثانياً (59.4%)، وعربية ثالثاً (36.8%)، وأخيراً صفراً للأمازيغية.

أما الترتيب حسب فئات الأعمار فلا تختلف كثيراً عن النتيجة الإجمالية إلا في الدرجة، حيث نجد فئات الأعمار ما بين 18-28 ترتب نفسها كما يلي: مسلمة أولاً بنسبة 75%، وجزائرية ثانياً بنسبة 22.4%، وعربية ثالثاً بنسبة 2.6%، ولا شيء بالنسبة للأمازيغية، وفي المقابل نجد لدى فئات (50-59 سنة) نسبة أكبر من الشباب في ترتيب أنفسهم كمسلمين أولاً بنسبة 80.2%، وكجزائريين ثانياً بنسبة 15.3%، وعرب ثالثاً بنسبة 4.6%، ولا شيء بالنسبة للانتماء إلى الأمازيغية. فلم يظهر بين الجيلين هنا إلا فرقٌ ضئيل في حدود خمس نقاط.

نلاحظ في هذا المقام أن الانتماء إلى الدين الإسلامي سابق على الانتماء الوطني، وهذا الأخير سابق وأولى عن الانتماء العربي وأخيراً الانتماء إلى الأمازيغية. ونلاحظ أن هذه النتيجة متقاربة مع استطلاع جرى في المغرب حيث أظهرت النتائج أن هناك نسبة 54.2% من المغاربة يقولون إنهم مسلمون في المقال الأول، ثم تأتي الهوية المغربية في المرتبة الثانية بنسبة 47.8%، ثم تليها الهوية العربية بنسبة 38.8%، والهوية الأمازيغية في المرتبة الرابعة بنسبة 32.9%. وهنا تظهر الهوية الإسلامية كهوية مهيمنة في المجتمعات المغربية، على اعتبار الدين الإسلامي "متسامي" وصالح لكل زمان ومكان"، سواء في نظر الشباب أو الشيوخ¹.

-قراءة الكتب الدينية

¹قامت مؤسسة آل سعود للدراسات والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء بالمغرب بإنجاز بدراسة ميدانية استطلعت فيها رأي فئات مختلفة من المغاربة حول موضوع "القيم والممارسات الدينية في المغرب" وأشرف عليها باحثون مغاربة مثل محمد جنجار الصغير، الطوزي محمد، العيادي محمد، ورشيق حسن، شملت 1156 مغربياً. (دون ذكر للتاريخ).

يتبين من نتائج التحقيق بصورة إجمالية أن هناك نسبة 15% من مجموعة العينة من تقرأ الكتب الدينية بصورة دائمة، و25.3% أحياناً و13% نادراً، مع وجود نسبة 13.7% من الممتنعين عن الإجابة.

وإذا وزعنا الجواب حسب الجنس فسنجد أن الذكور يقرأون الكتب الدينية أكثر من الإناث، حيث تبين نتائج الاستطلاع أن الذكور يقرأون بصورة دائمة بنسبة 46.8%، ونسبة 35.7% في معظم الأحيان، 33% أحياناً، وما يقارب نسبة 48% نادراً، مع وجود 29.2% ممن امتنعوا عن الإجابة. في مقابل ذلك نجد عند المستجوبات من الإناث القيم التالية: نسبة 53.2% دائماً، 64.3% في معظم الأحيان، 66.9% أحياناً، 52.1% نادراً، مع وجود نسبة كبيرة تصل إلى أكثر من 70% من الممتنعين عن الإجابة.

أما نتائج الاستطلاع حسب فئات الأعمار فهي كما يلي: هناك 17.3% من فئات الأعمار ما بين 18-28 من تقرأ الكتب الدينية بصورة دائمة، و18.7% في غالب الأحيان، و33.3% أحياناً و18.7% نادراً، مع وجود نسبة 12% من أفراد العينة ممن امتنعوا عن تقديم جوابهم. أما الجيل الذي تتراوح فئات أعمارهم ما بين 50-59 سنة فلا يقرأ، بصورة دائمة منهم إلا نسبة 16.9%، و21.1% أحياناً، و25.4% نادراً، مع وجود نسبة 19% ممن امتنعوا عن الإجابة. ومرة أخرى فإن الفروق الجيلية في هذا الموضوع تكاد تكون متقاربة ولا تختلف درجتها إلا في القراءة "النادرة" حيث وجدنا نسبة تزيد قليلاً عن 18% عند فئة 18-28، و25.4% عند فئات 50-59 سنة.

ثانياً: تمثلات ومواقف المبحوثين

فيما يلي نعرض لتمثلات ومواقف المبحوثين من الجنسين حول بعض المسائل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية:

الفوائد البنكية:

طرح على المبحوثين سؤال هل ترى أن الفوائد البنكية تتعارض مع التعاليم الإسلامية أم لا؟ كانت نتيجة استطلاع المواقف حول هذا الموضوع كما يلي:

بصورة إجمالية هناك نسبة 53.6% من أفراد العينة يوافقون بشدة أن الفوائد البنكية تتعارض مع المبادئ الإسلامية، مقابل نسبة 7.8% التي لا توافق على ذلك. وحينما ننظر إليها حسب الجنس، نجد أن هناك نسبة 38% من الذكور ترى أن القروض البنكية مخالفة للتعاليم للإسلامية، مقابل 61.2% للإناث، في حين رفضت الإجابة عن السؤال نسبة 66.7% من الذكور، و33.3% من الإناث. ومنظوراً إليها حسب الأجيال، نجد أن نسبة 53.9% من فئات الأعمار (18-

28 سنة) ترى أن الفوائد البنكية تتناقض مع التعاليم الإسلامية، في مقابل نسبة 9.2% غير موافقة على ذلك. وبالمقارنة مع فئات الأعمار (50-59 سنة)، نجد أن هناك نسبة 48.6% من المستجوبين يرون أنها متعارضة مع الإسلام وتعاليمه، في مقابل 8.3% من غير الموافقين على ذلك. أي أن هناك تقارباً ضئيلاً من الأجيال فاعتبار الفوائد البنكية تتعارض مع التعاليم الإسلامية، وهي نسبة تتقاطع مع البحوث الميدانية السابقة التي جرت في الجزائر والمشار إليها في هوامش البحث ومراجعته.

- ضرورة ارتداء ملابس محتشمة دون ارتداء الحجاب

وعن سؤال: هل ترى أن ارتداء المرأة لملاابس محتشمة دون ضرورة لباس الحجاب، كانت الإجابة بصورة إجمالية: نسبة 54% من الموافقين بمختلف درجاتهم في مقابل نسبة 31.6% من غير الموافقين بتفاوت درجاتهم.

وحسب الجنس، نجد لدى الذكور موافقة بنسبة 39% في مقابل 47.8% من الراضين لها، و61% للموافقين عليها من الإناث مقابل نسبة 52.2% للراضين، بينما امتنعت نسبة 71.4% من الذكور عن الإجابة مقابل امتناع نسبة 28.6% للإناث، مع الإشارة إلى وجود نسبي 48.4 و51.6% من المبحوثين قالوا إنهم لا يعرفون. فالنساء هم أكثر موافقة من الرجال على فكرة لباس محتشم دون الحاجة إلى لبس الحجاب. مما يعني أن النساء أكثر ميلاً إلى المرونة في التعاطي مع مقتضيات الحياة الاجتماعية وتكييفها معها بما لا يتعارض مع أساسيات الدين.

وحسب الأجيال وجدنا أن نسبة 59% من فئات العمر ما بين 18-28 سنة ترى أنها موافقة على ارتداء ملابس محتشمة دون الحاجة إلى لباس الحجاب، مقابل نسبة 27.6% من المعارضين على ذلك، في حين نجد عند فئات الأعمار ما بين 50-59 سنة نسبة 59.1% من المؤيدين، ونسبة 28.2% من المعارضين. نسجل هنا تقارب كبير في نسب الأجيال بين المؤيدين مما يعني أن الجيلين متسامحان حول خروج المرأة للمجال العام بلباس محتشم دون حجاب.

- الإسلام والديمقراطية: تناقض أم توافق؟

ورداً عن هذا السؤال كانت إجابة المبحوثين كما يلي:

بصورة إجمالية، نجد نسبة 47% بدراجات متفاوتة من المبحوثين من الموافقين على وجود تناقض وتعارض بين الإسلام والديمقراطية مقابل نسبة 32.2% من الذين يقولون عكس ذلك، مع تسجيل 19.4% من الذين لا يعرفون. وإذا أردنا أن نعرف نتيجة مواقف المبحوثين حسب الجنس، فإننا نجد نسبة 53% من الذكور تقول إنها موافقة بشدة على أن الديمقراطية تتعارض

مع الإسلام، مقابل نسبة 40% ترى عكس ذلك (أي لا تعارض بين الديمقراطية والإسلام)، مع وجود نسبة 22.5% لا تعرف، مع امتناع نسبة 71.4% عن الإجابة. أما المبحوثات فقد جاءت إجابتهن على النحو التالي: نسبة 64% من الموافقات على وجود تعارض بين الديمقراطية والإسلام، مقابل 66.7% من غير الموافقات على وجود هذا التعارض، مع امتناع نسبة 28.6 عن الإجابة.

وعند الأجيال نجد نسبة 38.2% من فئات الأعمار 18-28 من ترى أن هناك تعارضاً كبيراً بين الديمقراطية والإسلام، مقابل نسبة 14.5% من ترى العكس، ونسبة قليلة في حدود 7.9% من قالت إنها "لا تعرف". أما كبار السن في حدود 50-59 سنة، فإننا نجد نسب 25.4% منهم من يرى وجود تناقض بينهما، ونسبة متقاربة 26.8% من ترى العكس، مع تسجيل نسبة 16.9% ممن لا يعرفون. الفروق بين الجيلين هنا تقديراً أكثر من عشر نقاط، يبرز فيها جيل الشباب أكثر تمسكاً بحرفية تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في هذا المجال من الكهول. للإشارة أن إشكالية العلاقة بين الإسلام والديمقراطية هي من بين الموضوعات المتكررة في مختلف الخطابات الأكاديمية والإعلامية والسياسية، التي تطرح من زاوية التوافق والتنافي، والتعايش والتناظر وكذا من ناحية من يذوب فيمن؟ وأحياناً أخرى طرحت الإشكالية على صورة تساؤل: هل وجب تحديث الإسلام أو أسلمة الحداثة؟

-عندما تواجهك مشكلة تحتاج إلى توضيح ديني بمن تتصل؟ تباينت الإجابة عن هذا السؤال لدى المستجوبين. فقد تبين من المعطيات الميدانية أن هناك نسبة 45.1% من المستجوبين¹، بصورة إجمالية، يستشيرون، في المقام الأول إمام حميم، ونسبة 19.4% تتجه، في المقام الثاني، إلى الكتب، ونسبة 18.1% تلجأ، في المقام الثالث، إلى الأسرة، ونسبة 9% و4.4% تتجه، على التوالي، إلى فتاوى الفضائيات والانترنت، وفي المقام الأخير نجد نسبة 3.8% من يلجأ إلى صديق أو عالم في الدين. وحسب الجنس، نجد الذكور من يلجأون، عندما يشعرون بالحاجة إلى طلب توضيح أو نصيحة دينية، إلى الأسرة بنسبة 20%، وإلى فتوى عبر الفضائيات بنسبة 4.3%، وإلى

¹نشر في هذا المقام إلى نتائج بحثين ميدانيين آخرين أجريا في الجزائر (1995، و2002) الذين يشكّلان جزءاً من الاستبيان العالمي للقيم، وهو مشروع دولي يهدف إلى قياس القيم والمواقف ومقارنتها بين الناس العاديين، يجري دورياً كل خمس سنوات منذ عشرين سنة وطبق على 80 دولة. وتشير بعض النتائج المتصلة بهذا الموضوع أن هناك 7 من كل 10 من المستجوبين يرون أن رجال الدين يقدمون إجابات ملائمة للمشكلات التي يواجهها الناس في حياتهم اليومية، معتبرين أن الإسلام يجب أن يكون دليل الحياة الاجتماعية والاقتصادية. أنظر في هذا المقام: عزي محمد فريد، مرجع سابق، ص 184.

مواقع الانترنت بنسبة 30.4%، والكتب الدينية بنسبة 56.3%، الاتصال بإمام الحي بنسبة 46%، في حين تلجأ الإناث إلى الأسرة لتستقي منها المعلومات والتوضيحات بنسبة 80%، وإلى فتوى الفضائيات بنسبة 95.7%، ثم مواقع الانترنت بنسبة 69.6%، فالكتب الدينية (43.7%)، ثم الاتصال بإمام الحي بنسبة 54%.

وعند توزيع النتائج حسب فئات الأعمار، نجد نسبة 32.5% من فئات أعمار 18-28 سنة تلجأ إلى في المقام الأول إلى إمام الحي، ونسبة 17.3% إلى الكتب الدينية، و20.8% إلى العائلة، و14.3% إلى مواقع الانترنت، و3.9% إلى فتاوى الفضائيات، وأخيراً نسبة 1.3% إلى صديق أو عالم مثقف، في حين تلجأ فئات الأعمار 50-59 لطلب استشارة أو حل لمشكلتها في المقام الأول إلى إمام الحي بنسبة 52.9%، ثم في المقام الثاني الكتب الدينية بنسبة 20%، ثم يلي ذلك فتاوى الفضائيات ومواقع الانترنت بنسبة 12.9% و15% على التوالي، وأخيراً العائلة التي توجد في المرتبة الخامسة بنسبة ضعيفة تقدر بـ8.6%، مما يبين هيمنة شخصية إمام الحي على بقية المصادر الأخرى. وهنا يظهر التوافق بين الأجيال حول هذه المسألة، أي الثقة في المصادر المحلية القريبة والعليمة بظروف الناس وأحوالهم بدل المصادر البعيدة التي يصعب الاتصال المباشر بها.

نلاحظ في هذا المقام أن حرص المستجوبين على طلب نصيحة أو فتوى من الجهات الدينية الرسمية حول المشاكل اليومية عديدة ومتنوعة. فالمصادر "الأكثر مصداقية وشرعية" هي التي تحظى بتقرب الناس منها طلباً للاستشارة منها. لقد لاحظت شخصياً، وأنا استقرأ المشاكل المتعددة التي يطرحها المواطنون عبر وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية، أن هناك ثلاث مشاكل رئيسية تشغل بال الناس على مختلف أعمارهم وجنسهم ومستويات تعليمهم، وهي: المشاكل الصحية، والمشاكل الاجتماعية القانونية، والمشاكل الدينية. وعليه فإن كل من المفتي والطبيب والمحامي (رجل القانون) هم المطلوبون اجتماعياً في معرفة الحلول للمشاكل المطروحة، متجاهلين القوى الاجتماعية والسياسية المتسببة في ظهور مشاكلهم واستمرارها!

-مساعدة الفقراء

وعند تفحصنا لمؤشر المعاملات، ممثلاً في مساعدة الفقراء، حصلنا على النتائج التالية: بصورة إجمالية، هناك نسبة تتجاوز النصف (50.7%) مستعدة لمساعدة الفقراء بدرجة عالية، مقابل نسبة ضعيفة في حدود 3.2%، مع وجود نسبة كبيرة (85.7%) من رفضت الإجابة عن السؤال.

وحسب الجنس، نجد لدى الذكور استعداد بدرجة مرتفعة لمساعدة الفقراء بنسبة 38.4%، وبدرجة متوسطة (49%)، وبدرجة أقل 58%، في حين نجد هذه المساعدة عند الإناث في درجتها العليا بنسبة 61%، وفي درجتها المتوسطة، والضعيفة نجدها في نسبة 51، و41% على التوالي، في حين صرحت نسبة 86% من الإناث أنها لا تعرف، ونسبة 14% رفضت تقديم جواب عن السؤال المطروح عليها، ونجد هذا الرفض عند الذكور في حدود 85.7%.

أما لدى فئات الأعمار فنجد أن نسبة 47% من فئات 18-28 سنة من الشباب من هم على استعداد، بدرجة عالية، على مساعدة الفقراء، ونسبة 2.6% بدرجة ضعيفة، في حين نجد لدى فئات 50-59 سنة نسبة أكبر من نسبة الشباب (55.6%) بدرجة عالية، ونسبة 2.8% بدرجة ضعيفة. تبدو الفروق الجيلية هنا أن الكهول أكثر مساعدة للفقراء من الشباب.

ويلاحظ هنا أن هذه النتيجة تدخل ضمن القيم الاجتماعية والأخلاقية في المجتمع الإسلامي، حيث نجد تضامناً بين أبناء الدين الواحد، باعتبار أن الدين يحث على مساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين واليتامى، وهي جزء من المعاملات التي تعتبر أحد الركائز الأساسية التي لا يكون الإيمان الحقيقي بدونها، للقول النبي "ص" "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". الدين، حسب التعاليم الإسلامية، عبادات ومعاملات، بل "أن الدين هو المعاملة" عند جل الفقهاء¹.

6- مناقشة النتائج

من خلال تحليل المعطيات الكمية المعروضة سابقاً، يمكن الخروج بعدد من الاستنتاجات نختصرها في النقاط التالية:

- هناك هيمنة للقيم الدينية لدى أفراد العينة المستطلعة رأيها ومواقفها، وإجماعها على مراعاة الشعائر الدينية الأساسية الإسلامية من صلاة، وصوم، ومراعاة ما هو شرعي من وجهة نظر الدينية الإسلامية في قضايا تتعلق بالمسائل الاجتماعية (الحجاب، واللحية، وغيرها) والمسائل الاقتصادية (الفوائد البنكية) والمسائل المتعلقة بالمرجعية في حل القضايا الاجتماعية والدينية. وهذا أمر لا يدعو للغرابة باعتبار أن أفراد مجتمع العينة جزء لا يتجزأ من المجتمع الجزائري المسلم، وباعتبار أن القائمين على الاستجواب والاستطلاع هم أنفسهم جزائريون

¹ إن علاقة العبادات بالمعاملات علاقة تكاملية، بل أن الأولوية تميل إلى المعاملات. فعلاقة الإبن بوالده في المعاملات، هي ضمناً، مرجعية علاقة الإنسان بربه. فلا معنى أن يحترم الناس الوالد ويبجلونه، وهم سينون التصرف مع أبنائه!

مسلمون، فلا يمكن أن يصرح الفرد المنتهي للمجتمع المسلم أمام فرد آخر ينتمي إلى نفس المجتمع بغير ذلك.

- هيمنة القيم الدينية الإسلامية في رأي ومواقف وممارسة المستجوبين نتاج لتنشئتهم الاجتماعية والدينية عبر الأجيال حيث تم تشكيل وجدانهم ونفسياتهم وذهنياتهم بالرؤية الدينية للأمور، كمصدر ومرجع لتفسير ما يعجز العلم والحس المشترك عن تفسيره. ولازالت هذه الرؤية المفسرة سائدة لدى معظم الفئات الاجتماعية المتباينة اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، ذلك أن الدين متغلغل في أدق حياة الناس اليومية كما لاحظ ذلك بيار بورديو في كتابه "سوسيولوجيا الجزائر في مطلع الستينيات. وأن استمرار هذه القيم يدل على وجود عملية تواصل في نقل القيم من الجيل السابق للجيل الحالي.

- غالباً ما يشكل التمسك بمظاهر التدين لدى الناس بمختلف الأعمار والجنس جزءاً من التنشئة الاجتماعية التي يستبطن الفرد المسلم قيمها، كما يعتبر شرطاً ضرورياً وحاسماً للدخول في نسيج العلاقات الاجتماعية في حيث الاعتراف به كعضو في المجتمع كما يظهر ذلك من خلال الخطابات الدينية المسجدية¹.

- أن درجة التمسك بالشعائر الدينية ومراعاتها بانتظام يمكن تفسيره بمنظور المقاربة الفيبرية، أي التركيز على المعنى الذي يعطيه الفاعلون لأفعالهم وسلوكياتهم. وتبدو الطقوس هنا، بناء على ذلك، كشكل من أشكال شكر الخالق وتعبيراً عن الالتزام الوفي لتعاليم الله والاستسلام لأرادته بصورة مطلقة²، راجياً رضاه وثوابه ومتجنباً لسخطه وغضبه.

والمعنى الآخر للالتزام بالطقوس وممارستها هو اعتبارها كوسيلة لرد دين وجب على المؤمن رده إلى الله: باعتبار أن الله خلقه ورزقه وحفظه. فالدين، بتسكين الياء، هو التزام بالدين، دين الله. فمثلما أن الفرد يولد في كنف أسرته وجب عليه، حين يكبر، أن يرد دين والديه الذين كان ثمرة علاقتهما وتربيتهما ورعايتهم حتى اشتد عوده وصار بالغاً عاملاً. مثلما لا يتصور أن ينكر الإبن فضل والديه، فمن باب أولى لا يمكن أن يتصور إنكار خالقه الذي خلقه وخلق والديه وخلق

¹ إن الذي لا يراعي الشعائر الدينية خصوصاً الصلاة "يفقد احترام المحيطين به، فلا يستشيرونه في أمورهم، ولا يحكمونه في مشاكلهم، ولا يباهرونه". حسب رأي إمام مسجد بالكاليتوس. أنظر: الشروق اليومي، العدد 4183 ليوم 2013/11/02.

² Belakhdar, Mezouar, *Religion et lien social en Algérie*. Thèse de Doctorat d'Etat en sociologie. Sous la direction de Benmalek, Rachid, faculté des sciences sociales, Université de Tlemcen, 2005. P. 173

الناس جمعياً بل خلق الكون كله. ومن هنا كان مثال علاقة الإبن بوالديه مثلاً مرجعياً للعلاقة بين العبد وربّه.

- إن إجماع أفراد العينة على الالتزام بالقيم الدينية الإسلامية ومراعاة شعائرها كما يبدو في تصريحاتهم لا يعني ذلك أنها هي التي تتحكم في سلوكياتهم وممارساتهم وعلاقاتهم الاجتماعية في جميع المجالات، في كل الحالات، فكثيراً هي الشواهد التي تبين وجود هوة بين المثال الديني والممارسات الاجتماعية، ونوعاً من تكييف ما هو ديني لما هو اجتماعي وغير ديني في بعض المواقف والسياقات، طبقاً لاستراتيجيات اجتماعية وفردية قائمة على اقتناص الفرص لتحقيق المصالح وهذا وفقاً لما سماه سبينوزا بقانون الطبيعة الإنسانية الذي يقوم على مسلمتين أساسيتين:

- 1- أن كل أمريء أنما يسعى باستمرار إلى ما يجد فيه فائدته ويرى فيه مصلحته الشخصية.
 - 2- لا أحد يتخلى عما يراه خيراً، إلا إذا كان ذلك أملاً في خير أعظم، أو خوفاً من أذية أعظم، ولا أحد يقدم على ما يراه شراً، إلا إذا كان ذلك تفادياً لشر أعظم أو أملاً في خير أعظم¹.
- إن علاقة الأجيال بالقيم الدينية والمواقف من بعض القضايا الاجتماعية والسياسية، على محدوديتها في هذا البحث المتواضع، علاقة توافق في معظم الموضوعات، وعلاقة اختلاف، بدرجات قليلة، في بعض الموضوعات الأخرى مثل تلك القضايا المتعلقة بالمرأة والحجاب واللحية، والفوائد البنكية والإسلام والديمقراطية، غير أن الاختلاف، ليس بالدرجة التي جعلنا نعتقد أنه سيتحول إلى خلاف ثم إلى صراع أجيال. فلا زالت الأجيال تتعايش ضمن بيئة اجتماعية وسياسية وثقافية متجانسة في مجتمعها وتختلف في درجة إدراكها وفهمها للتحويلات التي تحيط بها، كما تختلف بدرجة متفاوتة حول الانفتاح على العالم الخارجي وخصوصاً على العالم الغربي ومدى القدرة والرغبة في التعايش مع نمطين من الحياة مستمدين من مرجعيتين مختلفتين: مرجعية عربية إسلامية، ومرجعية غربية أوروبية، ضمن إشكالية الأصالة والمعاصرة مع السعي للتوفيق بينها في مجريات العلاقات الاجتماعية اليومية في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

¹ترجمة الفكر السياسي لسبينوزا، "رسالة سبينوزا في اللاهوت والسياسة". سعيد جلال الدين، سلسلة "حوار الضفتين"، مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء، 2011 (أشغال الندوة التي نظمتها المؤسسة يومي 25 و26 نوفمبر 2010)، ص 47-58.

- إن هذه النتائج تتقاطع مع سبر الآراء الذي جرى في منطقة العربية وخصوصاً المغرب ومصر وتونس والأردن وغيرها من البلدان العربية في نطاق الدراسات المسحية التي جرت بداية من 2006 إلى سنة 2012 في العالم بالتعاون مع "مركز الدراسات الإستراتيجية" في الأردن وغيرها من المراكز الأجنبية، مع بعض الاختلافات حسب خصوصية الزمان والمكان والسياق المحلي والإقليمي والدولي، باعتبار أن هذه البلدان مجتمعات عربية إسلامية تشترك تاريخياً واجتماعياً في القيم الإسلامية المعبرة عن هويتها وحضارتها.

خاتمة

تبقى هذه الدراسة الميدانية، على محدوديتها، حول مؤشرات التدين لدى الجزائريين ومواقفهم من القضايا الاجتماعية الاقتصادية والسياسية، مرتبطة بمرحلة تاريخية محددة بمعالمها وخصوصيتها، فإن نتائجها مرتبطة باللحظة التاريخية التي تم فيها استطلاع عينة البحث، وهي فوق ذلك كله عبارة عن تصريحات تفتقد للدليل المادي لصدقيتها ومصداقيتها. وتبقى الدراسات الطولية، القائمة على رصد وتبعية تطور القيم والمواقف لفئات المبحوثين من خلال استطلاعات الميدانية، هي وحدها القادرة على كشف مظاهر التغير والثبات وربطه بمتغيرات المجتمع وتحولاته في مختلف المجالات، على ضوء تراكم الدراسات والبحوث الميدانية في فترات متعددة وأماكن مختلفة، وما يرافقها من تجديد في المفاهيم والنظريات والمقاربات السوسولوجية والانثروبولوجية في العالمين العربي والغربي في ظل التواصل الثقافي والعلمي في عصر العولمة وانتشار المعارف والمعلومات وسهولة الحصول عليها عبر شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع مراكز البحث في الشبكة العنكبوتية. ووفق هذا المنظور فإن بحثنا هذا، يعتبر جزءاً بسيطاً من بحث جماعي حول القيم بمختلف أنواعها ومواقف السكان حولها الذي يحتاج، دائماً إلى تحيين وتجديد في رؤيته ومنهجيته وأدواته ونظرياته من خلال تبادل التجارب العلمية بين مختلف مراكز البحث محلياً ودولياً.

كما نأمل مستقبلاً إجراء المزيد من البحوث الميدانية والمسحية على خمس أو ست سنوات لمعرفة تطور الآراء والمواقف والاتجاهات والممارسات حول العديد من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية ورصد التحولات التي طرأت عليها، مع تقدير حجمها ودرجتها، واتجاهاتها، كما يمكن رصد في ذات الوقت ما بقي ثابتاً بهذه الدرجة أو تلك، وهذا في نطاق إشكاليات نظرية وعدة مفهومية ومقاربات منهجية مستحدثة تنطلق من التمييز بين صيرورة الحدائث بمختلف مظاهرها والتقليد بصوره المتعددة في عصر العولمة وتعدد

وسائط الاتصال الاجتماعي وثورة المعلوماتية وأثارها في تغيير نظرة الناس لأنفسهم ولغيرهم ولماضيهم وطموحاتهم وتطلعات حول مستقبل حياتهم الاجتماعية والمهنية والسياسية.

مصادر ومراجع البحث:

- عزي، محمد فريد، الأجيال والقيم: مقارنة للتغير الاجتماعي والسياسي في الجزائر، أطروحة دكتوراه الدولة، إشراف أ.د أحمد العلوي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران، 2008.
- مرزوق محمد، الدين والبحث عن الهوية في الوسط الطلابي، كراسات المركز (مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2012
- راجعي مصطفى "التدين وعلاقته بدعم الجندرية لدى فئة الأعمار 18-30 سنة ببلدية وهران"، في مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 55-56، 2012، ص ص 51-65.
- العظمة، عزيز، دنيا الدين في حاضر العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية 2002، ص83
- منديب عبد الغني، "التدين والمظهر الخارجي في الوسط الطلابي المغربي: مقارنة سوسولوجية" مجلة، في مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر العدد 6، المجلد الأول، خريف 2012، (ص ص 99-110)
- البارومتر العربي، من منشورات مركز الدراسات الاستراتيجية، الجامعة الأردنية، ص 12
- صالح محمد، إبراهيم، "الدين بوصفه شبكة دلالية: مقارنة كليفورد جيرتز". (Clifford Geertz)، ترجمة مرضي مصطفى، دفاتر مجلة إنسانيات، العدد 4، 2013، ص ص 75-85.
- محمد جنجار الصغير، وآخرون، "القيم والممارسات الدينية في المغرب"، مؤسسة آل سعود للدراسات والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء بالمغرب، بدون تاريخ.
- الشروق اليومي، العدد 4183 ليوم 2013/11/02.
- سعيد جلال الدين، "ترجمة الفكر السياسي لسبينوزا: رسالة سبينوزا في اللاهوت والسياسة"، سلسلة حوار الضفتين، مؤسسة الملك عبد العزيز دار البيضاء، 2011، أشغال الندوة التي نظمتها المؤسسة يومي 25 و26 نوفمبر 2010، ص 47-58.

- Mannheim, Karl. *Le problème de générations*. Paris, Nathan, 1990.

- Bourqia, Rahma. *Les jeunes et les valeurs religieuses* Dakar, CODESRIA, 2001

- Mezouar Belakhdar, *Religion et lien social en Algérie*. Thèse de Doctorat d'Etat en sociologie. Sous la direction de Benmalek, Rachid, faculté des sciences sociales, Université de Tlemcen, 2005.

- Quivy R., Campenhoudt, L., Van, *Manuel de recherche en sciences sociales*, Bordas, Paris, 1988.

P.11

- Reynié Dominique, La jeunesse du monde. *Une enquête planétaire 2011*, Paris : Fondapol, 1ère Edition. 2011.
- Stelling de Anna. *Les jeunes face à leur avenir. Une enquête internationale*. Ed. Fondation pour l'innovation politique. Paris, 2008.
- Augé Marc. Pour *une anthropologie des mondes contemporains*. Editions sciences sociales. Paris. 1996.
- Bourqia. R. et autres, *Les jeunes et valeurs religieuses*. Eddif-Codesria, Casablanca. Maroc. 2000.
- Elayadi Mohammed. Rachid Hassan. Tozi Mohamed. *L'islam au quotidien*. Ed. Prologues, Casablanca, 2007.
- Khosrokhavar, Farhad. *L'islam des jeunes*. Editions Flammarion, Paris, 1997.
- Paris, 2007. . Ed. Odile Jacob. *Donner un sens à sa vie*. Jacques.Lecomte-